السجع القرآني بين الخفاجي والباقلاني

م. م. حسن علي حماد العبيدي
قسم اللغة العربية /كلية الآداب / جامعة الأنبار

المقدمة :-

_حمداً لله على آلائه ، وصلاة وسلاماً على صفوة أَصفيائه ، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ، وبعد ..

فالخلاف حول إثبات السجع في القرآن ونفيه ، يمتد في الزمان بداية الاشتغال بالدراسات القرآنية إلى يومنا هذا ، ويمتد في المكان حتى تقع عليه في معظم العلوم التي تناولت القرآن الكريم كلعلوم الشرعية والتفسير وكتب الإعجاز والبلاغة ، وفي عدد من المذاهب الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة ، لذلك كثرت الأسباب الموجبة لهذا الخلاف الذي لم تتضح ثوابته ومقاييسه .

وربّ سائل يسأل ويقول : إن موضوع السجع القرآني قد تناوله بعض العلماء ودرسوه دراسة شافية في طيات كتبهم ، فما فائدة هذا البحث مقارنة بما قدمه هؤلاء العلماء ؟ فالجواب على ذلك : صحيح أن موضوع السجع القرآني قد تناوله بعض العلماء ، ولا سيّما في كتب الإعجاز القرآني والكتب البلاغية والنقدية ، ولكنني في بحثي هذا تناولت شخصيتين بارزتين هما : الخفاجي المائل إلى المذهب المعتزلي ، والباقلاني من مذهب الأشعري ، إذ إنني لم أرَ أحداً من العلماء ـ حسب ظني ـ من درس أقوال وآراء هذين العلمين على حدة دراسة موسعة ومفصلة وناقش آراءهما ، فأردت أن أُكرس جهدي لدراسة هذين العلمين اللذين يُمثلان المذهبين المعتزلي والأشعري ، لأَنّ معظم الآثار التي دارت حول الإعجاز هي لمعتزلي اولأشعري .

وكان نهجي في ذلك واضحاً ، فقد بدأتُ بقراءة ما وسعته الطاقة من مختلف المظان ثم جمعت هذه المطالعات ضاماً كل إلفٍ إلى إلفه ، مدعماً برأيي الصريح من دون تعصّبٍ لمذهب أو تحامل على آخر ، فبعد تمهيداً عن معنى السجع والفاصلة ، فقد بسطت القول لآراء الباقلاني والخفاجي وأدلتهما في مسألة السجع ، وعرض لآراء وأقوال العلماء الذين وافقوا كلا الطرفين ، ومناقشة هذه الأقوال والأدلة والردِّ عليها ، ثم الترجيح بين هذه الأقوال ، وقد يلاحظ القارئ من خلال قراءته للبحث أن مناقشتي للأدلّة التي جاء بها الباقلاني كانت أوسع مقارنة مع مناقشتي للأدلة التي جاء بها الخفاجي ، والسبب في ذلك أن الأدلة التي جاء بها الباقلاني على نفي السجع من القرآن كانت كثيرة مقارنة بالأدلة التي جاء بها الخفاجي في إثبات السجع في القرآن ، ولهذا السبب كانت مناقشتي للباقلاني أوسع.

وأخيراً انتهى بي البحث إلى أن أتساءل : ماذا قدّم هذان العملاقان في سبيل قضية الإعجاز القرآني التي بقيت علماً – على مدى القرون والأحقاب – ناطقاً بما بذلاه من كفاح وإخلاص من أجل نصرة الحق والدين .

وبعد فلا بدّ أن أشير هنا إلى أنهم قد قدّموا الجديد في ميدان النقد وميدان البلاغة ، أما عن المصادر ، فقد تنوعت تبعاً لطبيعة البحث ؛ وبعد :

فهذا ما هداني إليه ربي تعالى ، أن أقول كلمة في كتابنا الكريم ، عساها تنفع الباحثين ، فإن وجدوا فيها ما يفيد فلله الحمد أولاً وأخيراً ، وإلاّ ، فقد ابتغيت الخير ونويت الفائدة وأردت الصلاح ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد :-

إن مسألة السجع في القرآن الكريم من المسائل التي أخذت حيّزاً كبيراً من تفكير العلماء وأذهانهم ، إذ استحرّ الجدل فيها أمداً طويلاً ، وأحسب السرّ في هذا الإحتراب ، تدخل علم الكلام فيما ليس يعنيه من فنون بلاغية أدبية تخضع لحكم الذوق وحده وتبعد طبيعتها عن قواعد المنطق والفلسفة والنظريات العقلية .

وتمهيداً لهذه السيطرة الكلامية على البلاغة ، ومحاولة تنزيه القرآن عن الإسجاع بكل وسيلة ، فإن هذا البحث محتاج إلى تمهيد موجز يبين المراد بالسجع والمراد بالفواصل ومدى ما بينهما من توافق أو تخالف .

السجع في اللغة :سجع – يسجع – سجعاً – : إستوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً ، والسجع الكلام المقفّى ، وجمعه : أسجاع و أساجيع ، وكلام مسجع ، وسجع يسجع سجعاً ، وسجع تسجيعاً : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، فهو سجاع وسجاعة وساجع (١) .

قال ابن جني : سمي سجعاً لإشتباه أواخره وتناسب فواصله ، وسجع الحمام : هدل على جهة واحدة ، وسجع الحمامة : موالاة صوتها على طريق واحد(٢) ، وربط الخليل السجع بالفواصل فقال:[سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن](٣) .

إشتقاقه:-

واشتقاقه من سجع الناقة والحمامة ، وهو ترديد صوتهما على وجه واحد ، وإنما شبه بذلك لتقارب فواصله (٤) .

فمقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازية متماثلة، فأشبه ذلك الترجيع (٥) أنشد ابن دريد :-

طربتَ فأبكتك الحمام السواجع تميل بها ضحواً غصون نوائع(٦)

وقيل : إنه مشتق من الساجع ، وهو المستقيم لا يميل عن القصد ، لإستقامته في الكلام ، واستواء أوزانه(٧) .

اعتراض الباقلاني ومناقشة رأيه :-

ولم يسلم الباقلاني باشتقاق السجع من ترديد الحمامة صوتها ، فقال معترضاً : ولا معنى لقولهم : إنّ ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها نسق واحد ، وروي غير مختلف ، لأن ما جرى هذا المجرى لا يبني على الاشتقاق وحده ، ولو بني عليه لكان الشعر سجعاً ، لأن رويه يتفق ولا يختلف ، وتردد القوافي على طريقة واحدة (٨) .

ولا يخلو هذا الاعتراض من الوجاهة ، ولكن يصح ردّه : بأن الشعر– وإن كان لا يسمى سجعاً في الاصطلاح – إلاّ أن الأدباء كثيراً ما يصفونه بسجع الحمامة وتغريد البلبل ، وصدح العندليب ، وتطريب الهزار ، كما يشبهون الشعراء بالحمام والورق ، والبلابل ، والعنادل (٩) وما إلى ذلك .

قال ابن زيدون :

حمـــائم شـــكوى صـــبّحتك هـــوادلا تنـــوح علـــى أفنـــان آدابـــي الهـــدل(١٠)

وقال البارودي:

هي من أهازيج الحمام وإنَما ضمنتها مدح الهمام الأروع (١١)

وقـال المنفلوطي:

وهـل بكاء الحمائم إلا شعر، لأنه يمثل فجعة البين، ولوعة الفراق(١٢).

رأي الباحث في سبب التسمية :-

والذي يسكن إليه الذوق : إن سبب التسمية: مردَه إلى ما في الكلام المسجوع من حلاوة التنعيم، وجمال الموسيقيَة ، فأشبه سجع الحمام وترجيع النياق في إرتياح النَفس إليه وانعطافها نحوه، وتأثرها به، فالجامع بين السَجعين : حسن الإيقاع ، ولعله يشهد لذلك : إن من معاني ((السجع)) الوجه الحسن الخلقة (١٣) .

ومما يؤيد رأينا : قول إبراهيم بن بشار : الحمام يأنس الوحيد بحركتها ، وتغنيه عن الأوتار بنغماتها ، ولم تزل العرب تستحسن سجع الحمام ، وتغريد البلبل والورشان (١٤) ، وكان أعراب ((وادي القرى))(١٥) إذا ضفروا بشراب آتو حوائط(١٦)من النخل عند استواء الظهيرة حين تطير الوراش والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون ويأنسون بتغريدها ، ويقيمون أصواتها مقام المزامير والأوتار(١٧) .

السجع في الاصطلاح :-

السجع هو الفن المعروف في الأدب العربي ، وقد وردت للسجع تعريفات كثيرة في اصطلاح البلغاء :

قال المبرد : السجع في الكلام : أن تأتلف أواخره على نسق كما تألف القوافي(١٨) .

وقال الرماني : تكلف القافية من غير تأدية الوزن(١٩) .

وقال الزمخشري : هو أن يأتي ((السجع)) بالقرينتين ((الفقرتين)) فصاعداً على نهج واحد (٢٠) .

وقال ابن سنان الخفاجي : تماثل الحروف في مقاطع الفصول(٢١) .

وقال القلقشندي : هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن(٢٢) .

وقال ابن الأثير : تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد(٢٣) .

وقال ابن يعقوب المغربي : توافق الكلمتين اللتين في آخر الفقرتين من النثر على حرف واحد(٢٤) .

وهذه التعريفات – على إختلاف الصيغ– غير دقيقة ؛ لأنها غير جامعة ، وأدنى إلى الشمول والكمال أن نقول : تواطؤ الفواصل في حرف الروي ، أو في الوزن ، أو في مجموعهما(٢٥) .

تعريف الفاصلة :-

الفاصلة لغة : من الفصل واحد الفصول ، أي القَطع (٢٦) .

الفاصلة اصطلاحاً : عرّف العلماء الفاصلة تعريفات عدة :-

فمن تعريفاتهم قول الرماني :الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني(٢٧) .

وقول الباقلاني : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني(٢٨) .

وقول ابن منظور: أواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله (عز وجل)، واحدتها فاصلة(٢٩) .

وقول السيوطي : إنها كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع(٣٠) ، أخذاً من قوله تعالى : ((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ))(٣١) ، وإنما سميت بذلك ، لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها .

وقول أبي عمرو الداني(٣٢) : إن الفاصلة ((كلمة آخر الجملة))(٣٣) .

وعلى هذا الأساس ، فرّقَ بين الفواصل ، ورؤوس الآي ، فقال : الفاصلة : هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية.

هذا كلامهم في الفاصلة واختلافهم فيها ، ولا يخفى أن جهدهم فيه منصرف إلى إبعاد الفاصلة عن السجع ، وتلمس الأسباب لجعلها متميزة منه توصلاً لنفيه عن القرآن .

الباقلاني والسجع القرآني :-

تناول الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " مسألة السجع القرآني ، إذ عقد له فصلاً كاملاً – وهو الفصل السادس – لبيان نفي السجع من القرآن الكريم ، إذ إن الباقلاني نفى السجع أصالة عن القرآن الكريم ، وسمى ما جاء فيه من ذلك فواصل ، ويرجع هذا إلى سبب بلاغي ، وهو أن السجع يقصد في نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها ، لذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً والقائلون بهذا الرأي هم المتكلمون من الأشاعرة وعلى رأسهم شيخهم أبو الحسن الأشعري ، كما نقل عنهم " الرماني " في كتابه [النكت في إعجاز القرآن](٣٤) فالباقلاني تبنى هذا الرأي ، ولم يكن ذلك غريباً عنه ، فقد كان شديد الإنتصار لمذهب أستاذه أبي الحسن الأشعري ، وتأييده بكل وسيلة حتى لقُّب بـ " الأشعري " وهو في نفيه للسجع عن القرآن كان يعتمد على عدة أدلة وبراهين ، وهي كالآتي :-

بدأ الباقلاني فذكر أن أصحابنا كلهم – يعني الأشاعرة – ذهبوا إلى نفي السجع عن القرآن ، وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه وإن كثيراً ممن يخالفهم ذهبوا إلى إثبات السجع في القرآن(٣٥) .

يرى الباقلاني أن القرآن لو كان سجعاً لكان غير خارج عن أساليب العرب، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر(٣٦) .

الذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ؛ لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون البعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي إلى السجع ولكن القرآن الكريم يتبع لفظه معناه(٣٧) ، والسجع المدعي في القرآن الكريم متقارب الفواصل ، متداني المقاطع في كثير من الآيات ، وقد تمتد الآية وتطول ثم تجيء الفاصلة على الوزن الأول بعد كلام كثير ، وقد تتفاوت فواصله ، وهذا قبيح في السجع المعروف ، لأن له منهجاً مسلوكاً إذا ما أخلّ به المتكلم عيب كلامه كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود أخطأ ، وجاء شعره رديئاً(٣٨) . فإن قيل : إن ذلك خرج عن أن يكون سجعاً ، وليس على

المتكلم أن يلتزم السجع ، بل له أن يأتي به طوراً ويتركه آخر، قلنا: متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر، كان تخبيطاً وخبطاً ، وكذلك اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطاً (٣٩) .

ورأى الباقلاني أن القرآن الكريم لو كان سجعاً ، لإستطاع العرب معارضته لأن السجع ميسور لهم ، سهل عليهم ، لكنهم عجزوا عن معارضته ؛ حتى أن بعضهم خشع له دون أن يفقه معناه . فقد روي أن قوله تعالى: ﴿ حم(١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ(٤)﴾ (٤٠) نزل في شيبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب وأبي جهل ، فقد بعثوا هم وغيرهم من سادة قريش عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ ليكلمه وكان عتبة حسن الحديث بليغ الكلام ، عجيب الشأن ، وأرادوا أن يأتيهم بما عند النبي ﷺ ، فقرأ النبي ﷺ على مسمع عتبة هذه السورة ، حتى انتهى إلى قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت:١٣)(٤١) فوثب عتبة مخافة العذاب ، فلما عاد إليهم إستحكموه ما سمع، فذكر أنه لم يسمع منه كلمة واحدة، ولم يهتد إلى جوابه، فقال لهم عثمان بن مضعون: لتعلموا أنه من عند الله إذ لم يهتد إلى جوابه .

ولو كان ما سمعه عتبة من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد (٤٢) .

القرآن مخالف لطريقة السجع مخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم والأمور التي يستريح إليها كلامهم تختلف ، فيسمى ذلك قافية في الشعر ، وما ينفصل عنه الكلامان يسمى مقاطع السجع ، وربما يسمى ذلك فواصل ، وفواصل القرآن مما هو مختص بها ، لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب(٤٣) .

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون (عليهما السلام) في موضع ، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ؛ لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهو أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب ، الذي تظهر به الفصاحة ، وتتبين فيه البلاغة ، وقد أعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة ، على ترتيبات متفاوتة ، ونبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً ، فعلى ذلك يكون المقصد – بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها– ليظهر الإعجاز في الحالين ، لا رعاية للسجع الذي زعمه القائلون بالسجع(٤٤) .

إنْ قال قائل: القرآن مختلط من أوزان كلام العرب، ففيه من جنس خطبهم، ورسائلهم وشعرهم وسجعهم، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى، ولكنه أبدع فيه ضرباً من الإبداع، لبراعته وفصاحته(٤٥) فالجواب على ذلك: إنه لو كان الأمر على ما ذكره السائل : لوجب أن يتحيروا في أمرهم ، أو لا تدخل عليهم فيه شبهة فيما يأتيهم ، ولكانوا يسرعون إلى الجواب ويبادرون إلى المعارضة ، ومعلوم من حالهم أنهم كانوا باللّسن والذلاقة والفصاحة والدراية ، ..... فاستدللنا بتحيرهم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامه ، ووقوعه موقعاً يخرق العادات ، وهذه سبيل المعجزات ، فبان بما قلنا أن الحروف التي في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدها ، ولا يدخلها في باب السجع(٤٦) .

وقد روي أن النبي ﷺ قال للذين جاؤوه وكلموه في شأن الجنين : كيف ندي من لا أكل ولا شرب ، ولا صاح فاستهل، أليس دمُهُ قد يُطل ؟ فقال: ((أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟)) وفي بعضها: ((أسجع كسجع الكهان ؟))(٤٧) فرأى أن ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته(٤٨).

وختم الباقلاني كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه إذ يقول : ولا بد لمن جوّز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه مذهب النظام(٤٩) ، وعبّاد بن سليمان(٥٠) ، وهشام الفوطي(٥١) ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف . ويتضمن كلامه تسليم الخبط بطريقة النظم ، وأنه منتظم من فِرَق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهين ببديع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدي إليه . وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه ، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة فإذا ادّعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين(٥٢) .

هذه خلاصة وافية لما قدمه الباقلاني في هذا الفصل الذي عقده لبيان نفي السجع من القرآن ولا خلاف أنها غير كفاء لما عرف به هذا الإمام من المعية وعمق وتبحّر ، فهل هو أصرّ على رأيه ورآه جديراً أن يتمسك به ؟

مناقشة رأي الباقلاني :-

بعد إستعراضنا لآراء الباقلاني والأدلة والبراهين التي عرضها في كتابه (إعجاز القرآن) لبيان نفي السجع من القرآن ، فإننا نناقشه ونحاوره حول الأدلة التي استند إليها لنفي السجع من القرآن ضمن المحاور الآتية :-

أكثر هذه الأدلة هي نوع من الجدل الكلامي أتعب فيه نفسه غاية التعب دون أن يكون من وراءه إفحام الخصم المكابر ، ولا مقنع لسليم الصدر ، الذي يريد الوصول إلى الحقيقة .

ليس في هذه الأدلة – على طولها – ما يمسّ جوهر البلاغة ، غيرما كتبه في علة تقديم " موسى " على " هارون " تارة وتأخيره عنه أخرى ، ففيما أورده نفحة عطرة من البيان الخالص ، ونحن من أنصار القائلين بأن الحلى اللفظية في هذا الكتاب الإلهي العظيم تنطوي على مقاصد معنوية عالية تتكشف للباحث الملهم .

كان همه الأكبر فيما كتب أن يخرج القرآن من أجناس كلام العرب ويضرب بينه وبينها بالأسوار من فولاذ ، وقد دار حول هذا في أكثرما ساق من براهين ، وفاته أن القرآن بمبانيه ومعانيه حجة عليه ، ومنزل القرآن يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (٥٣)، ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٥٤) ، ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾(٥٥) و﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ (٥٦) و﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (٥٧) .

وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً(٥٨).

وفات الباقلاني أنّ كون القرآن من جنس كلام العرب لا ينافي في إعجازه لهم ، بل يكون أعرق في الإعجاز ؛ لأنه تحداهم بما يعرفون لا بما يجهلون ، فلم يكن لهم عذر في العجز عن معارضته ، وهذا هو السر في تحيرهم وبلبلتهم فوصفوه بالسحر مرة ، والشعر أخرى ، ولم يقولوا : إنه فارسي أو رومي .

والباقلاني نفسه يقول:[[والقرآن كتاب دلّ على صدق متحمله ، ورسالة دلت على صدق المرسَلُ بها ، وبرهان شهد له براهين الأولياء المتقدمين ، وبينة على طريقة ما سلف الأولون ، تحداهم به إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ، فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص]](٥٩).

قول الباقلاني : [[لأن القرآن لو كان سجعاً لكان غير خارج على أساليب العرب في كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها ، لم يقع بذلك إعجاز]](٦٠) . ولعل ما كان من أمر السجع في عصره جعله يذهب هذا المذهب ، ويربط السجع باللفظ دون المعنى مع علمه بأن السجع كثير في كتاب الله ، وقد سماه بعض البلاغيين سجعاً(٦١) ، ولن يقلل من قيمته أن نسميه {{فواصل}} ، لأننا حينما ننظر في تصريفهم لها نجد أنها حروف متشاكلة في المقاطع ، وهي تابعة للمعاني ، ويمكن أن نجعل السجع تابعاً للمعاني أيضاً كما فعل عبد القاهر ، وابن الأثير .

ولو قال الباقلاني : إن الإعجاز لا يؤخذ من السجع كما لا يؤخذ من فنون البديع الأخرى لكان أولى ، وله الحق في ذلك ما دام يذهب إلى أن كتاب الله الخالد معجِز بنظمه وحسن تأليفه(٦٢) .

ثم إن الباقلاني وَهَمَ في قوله : إنّ السجع يقتضي أن يتبع المعنى اللفظ ويخضع له ، لأن اللفظ هو المقصود(٦٣) .

أما الفواصل في نظره ونظر موافقيه ، فإن الألفاظ فيها تابعة للمعاني وخاضعة لها ، فليست هي المقصودة ، ولهذا كان السجع عيباً والفواصل بلاغة(٦٤) .

وذلك أن الباقلاني بهذا المفهوم قصر السجع على المرذول المتكلف الذي عابه العلماء ، وتنقصه البلغاء والنقاد ، أما السجع الذي يجيء عفواً صفواً لا كدّ فيه ولا استكراه ، ولا طغيان على الفكر ، فإنه لطيف الوقع على السمع وهكذا السجع في القرآن الكريم ، لأن ألفاظه تتبع معانيه ، بل إنه يهمل السجع إذا مسّ وحدة المعنى أو رواء الفكرة ، ولهذا تجيء الفاصلة نوناً مثلاً ، ثم تتخلف ، وتجيء ميماً في نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ(٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ(٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ(٥٧) سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ(٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ(٥٩)﴾ (٦٥) ، وليس يعيب أسلوب القرآن خروجه في آيات كثيرة منه على نسق السجع المعهود كما يعيب الشاعر خروجه على الوزن الموحد في القصيدة أو مخالفته للأوزان المعروفة ، لأن القرآن لم يلتزم السجع التزاماً ، بل إنه تراوح وتنوع ، فجاء بعضه مرسلاً وجاء بعضه مسجوعاً ، ومزج أحياناً بين الترسل والسجع .

وقد علّق السيد أحمد صقر على كلام الباقلاني فردّه قائلاً : [[وقد أخطأ الباقلاني فيما ذهب ، فليس السجع كذلك على الإطلاق ، وإنما هذا نوع من السجع رديء لا يقع إلاّ في كلام الضعفاء ، ومنه نوع آخر يقع فيه اللفظ موقعه الرائع ، وهو مع ذلك تابع للمعاني ، وهذا هو النوع المحمود منه الذي جاء في المأثور الصحيح عن بلغاء الجاهلية ، وفصحاء الإسلام ، وورده في أحاديث الرسول ﷺ على أكمل وجه ، وأتم نسق اتفق وجوده في كلام البشر ، وإليه بريغ المثبتون للسجع في القرآن القائلون بأن ما كان منه كذلك هو نهاية النهايات ، وأبعد الغايات في البلاغة ، وقد بان بطلاوته وصفاء لفظه وتمكن معناه ، عن جميع ما جرى من كلام الخلق]](٦٦) .

وذكر الباقلاني أن عتبة بن ربيعة خشع للقرآن ، وهو لم يفهم معناه ، وهذا القول مثار شك ، إن لم يكن عرضة للرفض ، لأننا لا نتصور من رجل عاقل لبيب بليغ إختاره قومه ، ليسبر لهم أعماق خصمهم أن تأخذه الروعة مما سمع ، وهو لم يدرك معنى ما سمع ، ولم يتذوق بلاغته ومرماه .

ولعل هذه القصة قد نقص منها شيء أو لعل عتبة أراد ألاّ يثقل عليه قومه بتساؤل وجدال ، فاقتضب الجواب .

وإنه ليسترعي النظر أن القصة تذكر أن عتبة وثب وجلاً لما سمع قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٦٧).

ومعنى هذا أن عتبة وثب مخافة العذاب ، فكيف ترعبه آية منذرة بالعذاب وهو لا يفهم معناها ؟

ثم لماذا اقترنت وثبته بسماعه هذه الآية القارعة المنذرة ، ولم يثب حينما سمع ما قبلها أو بعدها ؟

أليس هذا دليلاً على أنه سمع وفهم وتذوق وارتاع ؟

٧- والباقلاني في قوله : إن طول الفقرات ينافي السجع الذي تعارف عليه العرب (٦٨) .

وهو بهذا يحتكم إلى قيود وضعها المتأخرون من علماء البلاغة بعد أن نزل القرآن الكريم ، وبعد أن درس أسلوباً ومعنى بعشرات السنين .

فإن قال : إن الآيات الطوال ليست مسجوعة ، فماذا يقول في الآيات القصار ، وهي كثيرة جداً ، وأكثرها مسجوع ؟

وماذا يقول في أكثر السور القصار ، وهي كلها مسجوعة ، كسورة الليل والضحى والتين والعلق ؟

وماذا يقول في الآيات المتوسطة بين القصر والطول نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً(٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً(٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً(٨)﴾(٦٩) .

٨- أما استدلال الباقلاني لاستنكار النبي محمد ﷺ في قصة جنين التي سبقت ، فإنه استدلال مردود ؛ لأن النبي ﷺ أراد السجع المتكلف الذي يطغي على المعنى ويُموّهُ على السامع ، أو أراد ما تضمنه كلام الرجل الذي اعترض على حكم النبي ﷺ بالغرة في إسقاط الجنين من بطن أمه ، لأنه اعتراض باطل ، ولأن رأي الرجل أن الجنين لا دية له رأي جائز ، فهو بكلامه المسجوع يحاول أن يضلل ويلبّس ويصرف عن الحق كما كان الكهنة يفعلون ، ولو كان النبي ﷺ قد كره كلام ذلك الرجل ، لأنه مسجع فحسب ، لقال في استنكاره : أسجعاً ، ثم سكت ، وكان المعنى يدلّ على إنكار هذا الفعل ، لم كان ؟

فلما قال : أسجعاً كسجع الكهان ؟ صار المعنى معلقاً على أمر ، وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه ، فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير ، وأنه لم يذمّ السجع على الإطلاق(٧٠) .

ويعلق الجاحظ على هذا الأمر بقوله : [[وكان الذي كره الأسجاع بعينها – وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة – إن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم وكانوا يدّعون الكهانة ، وإن مع كل واحد رأياً من الجن . . . كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع ، فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتا فيهم وفي صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم]](٧١) .

وقد زاد ابن الأثير هذا المعنى إيضاحاً بقوله : [[إن النهي لم يكن عن السجع نفسه وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع .... أي أتتبع سجعاً كسجع الكهان ؟ وكذلك كان الكهان كلهم ؛ فإنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جاءوا بكلام مسجوع . . . فالسجع إذاً ليس بمنهي عنه ، وانما المنهي عنه الحكم المتبوع في قول الكاهن . . . وإلاّ فالسجع إذا أتى به الرجل لا بأس به ..... وهو كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه ، وإنما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع الكاهن أنّ يدي الجنين بغرة : عبد أو أمة]](٧٢).

ويقول التنوخي معلقاً على هذا الحديث : [[فإنه لو عاب السجع لما نطق به الرسول ﷺ فالمعيب هو سجع مخصوص ، وهو الذي ينقص المعنى أو يزيده]](٧٣) ، ثم كيف يذمّ الرسول ﷺ السجع ، وكثير من كلامه مسجوع ؟ حيث يقول ﷺ : { أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام }(٧٤) .

٩-يرى الباقلاني أن إثبات السجع في القرآن تأييد لمذهب القائلين[بالصرفة] ، ولا أرى صلة بينهما ، فيصحّ القول بوجود السجع في القرآن ، وأنّ العرب عجزوا عن معارضته عجزاً ذاتياً لا بصرفهم عنه .

وأصحاب مذهب الصرفة لا يتعلقون بالسجع وحده ، ولكن بالأداء القرآني كله لا فرق بين السجع وغيره من فنون القول وألوان الكلام ، فالقرآن عندهم غير معجز بصياغته وأساليبه التي منها السجع على القول بإثباته ، وإنه كان في إمكان المخالفين أن يعارضوه بمثله ، ولكن الله عزّ وجل حال بينهم وبين ذلك الصرف(٧٦) .

قول الباقلاني : [[ولا بدّ لمن جوّز السجع في القرآن وسلك ما سلكوه ، من أن يُسلم ما ذهب إليه مذهب النظام ، وعباس بن سلمان ، وهشام... الخ]](٧٧) .

هذه إلزامات عجيبة لا تلزم المثبتين للسجع في القرآن بحال من الأحوال [[لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة ، والإمتلاك لزمام الفصاحة ، وإن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان ، وباين كلّ أسجاع الساجعين ؛ كما يؤمنون بأن سرّ إعجاز القرآن نَظمه البديع ، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب]](٧٨) .

وأيّ فارق بين مشاركة القرآن لغيره من الكلام في كونه كلاماً عربياً مؤلفاً من ألفاظ فصيحة بليغة ، وبين مشاركة بعض آية في كونها جاءت مسجوعة ؟

وكيف يكون السجع المحمود من إمارات الفصاحة المعدودة ، التي يَقصد إليها أعلامُ البلغاء في بعض كلامهم لتوشيته وتزيينه وتحسينه بعقْد المناسبة بين ألفاظه ثم نجرّد القرآن منه ، وننفيه عنه بزعمنا ؛ مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة جميعاً ؟(٧٩) .

ولئن قال الباقلاني : إنّ السجع عيب يجب نفيه عن القرآن ؛ فإني أقول : إنّ السجع من الميزات البلاغية التي يجدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوّهِ منها .

١١- ومن الغريب أن الباقلاني وهو ينفي السجع بشدة عن القرآن ، يقول : بوجود الترصيع فيه(٨٠) ، ويمثل له بجملة آيات منه ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالطُورِ(١) وَكِتَابٍ مَسطُورٍ(٢)﴾ (٨١) ، ﴿ وَإِنّهُ عَلى ذَلِكَ لَشَهِيد(٧)

وَإِنّـه لِحُـبّ الخَيـرِ لَشَديد(٨)﴾ (٨٢) ، ﴿ وَالسَابِحاتِ سَبْحاً (٣) فَالسَابِقاتِ سَبْقاً(٤)﴾(٨٣) ، مع أنّ الترصيع من فنون السجع ، فأيّ تناقض هذا ؟ .

آراء المؤيدين للباقلاني :-

هناك قسم من العلماء ينفي السجع أصالة عن القرآن ، ويسمى ما جاء فيه من ذلك فواصل ، ويرجع هذا إلى سبب بلاغي ، وهو أن السجع يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها ، لذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً .

والقائلون بهذا الرأي هم المتكلمون من الأشاعرة وعلى رأسهم شيخهم أبو الحسن الأشعري والرماني والباقلاني ، كما نقله عنهم "الرماني" في كتابه "النكت في إعجاز القرآن"(٨٤) .

فالقاضي الباقلاني تبنى هذا الرأي – كما ذكرنا – وحمل رأيه والدفاع عنه في كتابه [[إعجاز القرآن]] ، وقد وافق الباقلاني الرماني في نفي السجع عن القرآن .

يقول الرماني : ((الفواصل حروف متشاكله في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والإسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ... وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي نحتاج إليها في أحسن صورة يدلّ بها عليها ، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمام ، وذلك أنه ليس فيه إلاّ الأصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمامة إلاّ الأصوات المتشاكلة ...))(٨٥) .

وأغلب الظن أن الرماني قد استحسن رأي أبي الحسن الأشعري، فأخذ به وعرّف الفاصلة على هذا الأساس.

وفكرة السجع عند الرماني لم تسلم هي أيضاً من مناقشة النقاد لها ، فأبو هلال العسكري بالرغم من أنه لم يصرّح بالسجع في القرآن ولم ينفه(٨٦) ، إلاّ أنه لم ير رأي الرماني في الأسجاع ، وعنده أنّ سجع الناس غير سجع القرآن(٨٧) .

وقبل الباقلاني، قد رفض الفراء المعتزلي أن يسمى ما في القرآن سجعاً، وسمى نهايات الآيات باسم رؤوس الآيات(٨٨).

وقد تابع الباقلاني على رأيه ابن خلدون ، فقال : ((وأما القرآن– وإن كان من المنثور– إلاّ أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً ، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ، ويُثني من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية ... ويسمى آخر الآيات منها فواصل ، إذ ليست اسجاعاً ، ولا إلتزم فيها ما يلتزم في السجع ، ولا هي قواف أيضاً))(٨٩) .وقد كنا ننتظر من ابن خلدون – وقد عُرف بحرية الفكر واتساع الأفق – غير هذا الرأي ، ولكن يخيّل إليّ أنه تأثّر بالباقلاني بحكم تفقههما بمذهب واحد – وهو مذهب الإمام مالك – فقد كان كلاهما من أئمة المالكية .

الخفاجي والسجع القرآني :-

يعدّ الخفاجي أكبر المؤيدين لوقوع السجع في القرآن ، وقد اعتمد في ذلك على براهين بلاغية لها قيمتها ، فقد تناول في كتابه "سرّ الفصاحة" موضوع السجع القرآني، وأورد الأدلة والبراهين في إثبات السجع القرآني وهي كما يلي :

بدأ الخفاجي فذكر مذهب المخالفين في تسمية أواخر الآيات فواصل لا أسجاعاً ، وتفرقتهم بين الأسجاع والفواصل ؛ بأن الأولى تقصد لذاتها وتخضع للّفظ ، والثانية تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها ، وأورد قول الرماني : إنّ الفواصل بلاغة والسجع عيب للسبب المتقدم(٩٠).

فرّق بين الأسجاع والفواصل تفرقة فنية ، فقرر أنّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول ، وأن الفواصل منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع ، فيكون سجعاً ، ومنها ما يكون متقارباً لا متماثلاً فلا يكون سجعاً ، وكل من المتماثل والمتقارب إما أن يأتي طوعاً سهلاً تابعاً لمعناه ، وإما أن يكون الضد من ذلك ، فالأول محمود والثاني مذموم(٩١) . والقرآن قد ورد فيه القسمان جميعاً المتماثل والمتقارب وكلاهما من القسم المحمود ومثال المتماثل قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ(١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ(٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ(٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(٤) ﴾ (٩٢) ، وقوله تعالى : ﴿ طه(١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(٢) إِلاّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى(٣) تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى(٥) ﴾ (٩٣) ، وقوله تعالى:﴿ وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ(٥)﴾ (٩٤) ، وجميع هذه السور على هذا الازدواج .

وكلّ أولئك جائز أن يسمى سجعاً ، لأن فيه معنى السجع ، ولا مانع من الشرع يمنع من ذلك (٩٥) .

ومثال المتقارب قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)﴾(٩٦) ، وقوله تعالى :﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ(١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(٢)﴾(٩٧) ، وهذا لا يسمى سجعاً لأن حروفه غير متماثلة(٩٨) .

خطأ الرماني في إطلاقه القول : بأن السجع عيب ، والفواصل بلاغة(٩٩) ، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى وكأنه غير مقصود ، فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب والفواصل مثله ، وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف ، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف(١٠٠) .

يظن الخفاجي إن الذي دعاهم إلى تسمية كلّ ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم(١٠١) .

ويقول : هذا غرض في التسمية قريب ، فأما الحقيقة فما ذكرناه ، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ، وبين مشاركة جميعه في كونه عرضاً وصوتاً وحروفاً وكلاماً وعربياً ، ومؤلفاً ، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة في البيان ، ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع(١٠٢) .

ختم الخفاجي كلامه بإيراد هذا السؤال : إذا كان عندكم أنّ السجع محمود فهلاّ ورد القرآن الكريم كله مسجوعاً ، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟(١٠٣) .

وقد أجاب على ذلك بقوله : بأن القرآن الكريم أُنزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كلّه مسجوعاً ، لما في ذلك من إمارات التكلف والاستكراه والتصنع ، لاسيما فيما يطول من الكلام ، فلم يرد مسجوعاً جرياً به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم ، ولم يخلو من السجع ، لأنه يحسن في بعض الكلام

على الصفة التي قدمناها ، وعليها ورد في فصيح كلامهم ، فلم يجز أن يكون عالياً في الفصاحة وقد أخلّ فيه بشرط من شروطها ، فهذا هو السبب في ورود القرآن مسجوعاً وغير مسجوع(١٠٤) .

وهذه خلاصة وافية للأدلة والبراهين التي قدمها الخفاجي في كتابه [[سر الفصاحة]] لإثبات السجع في القرآن الكريم .

مناقشة الخفاجي :-

بعد هذا العرض لآراء الخفاجي في مسألة السجع القرآني ، والأدلة والبراهين التي عرضها ، وبسطها بسطاً شافياً في كتابه [[سرّ الفصاحة]] ومن خلال مناقشته بعض القائلين بنفي السجع في القرآن ، ليصل بنا إلى آخر المطاف إلى إثبات السجع القرآني ، ولكن هناك بعض المآخذ على هذه الأقوال وهي كما يلي :-

تعريضه بأهل الكلام – الأشاعرة – الذين أسهموا في الدراسات القرآنية ، واتهام غيرهم بإقحام الدين في النقد والبلاغة، لأن الرأي الحق لا يضيره الوعاء الذي صبّ فيه، وهي تهمة ذات حدين تصيب القائلين بها قبل المتهمين.

توسيعه دائرة السجع حتى شمل عند بعضهم ما في الشعر والنثر(١٠٥) .

ختم الخفاجي كلامه بإيراد هذا السؤال : إذا كان عندكم أنّ السجع محمود فهلاّ ورد القرآن الكريم كله مسجوعاً ، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟(١٠٦) .

وأنا أميل إلى مخالفة الخفاجي في إيراد هذا السؤال ؛ لأنه لا يصحّ في نظري أن يقال : هلاّ ورد القرآن الكريم كلّه مسجوعاً ؟ وما وجه ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟

إن مقاصد البلاغة ترفض هذا السؤال ، ولو أنّ إنساناً سأل أديباً مطبوعاً ؛ لم يأت بعض كلامك مسجوعاً دون البعض ؟ لكان سؤاله مخلفاً عن الأسئلة ، ولما استحقّ الجواب .

إنه يسجع حيناً ويسترسل حيناً تبعاً لمقتضيات الأحوال ، ومطاوعة لهذا الموجّه الباطني الذي يحدد مواقعها بدقة ، وإذا كان هذا ملحوظاً في كلام الناس فكيف بكلام ربّ الناس(١٠٧) .

وفرق أن يكون القرآن من جنس كلام العرب ، وبين أن يكون محكوماً بهذا السجع مقلداً له ، حتى لو لم يسجع لكان مخلاً بشرط من شروط الفصاحة ؛ لأنّ فصحاء العرب كانوا يسجعون – كما يرى الخفاجي – .

وفيما عدا هذا نرى أن الخفاجي قد بسط رأيه بسطاً شافياً كافياً في دقة ووضوح بعيداً عن منطق المتكلمين الجدلي وفلسفتهم العقلية ، وفي أدلته لمحات فنية تحمل في ومضاتها الهادئة أسباب التسليم والإقناع .

أراء المؤيدين للخفاجي :

نلاحظ ابتداءاً إن المدرسة الأدبية في الأعم الأغلب لا تتحرج من إطلاق السجع على الفواصل القرآنية ، بخلاف المدرسة الكلامية التي أهم مقاصدها تنزيه التنزيل الحكيم عنه .بتلمس الأدلة العقلية وتصيدًها في مقام لا يُغني فيه الجدل العقلي .

فالعسكري يقول : ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القران ،لأنه في نظمه خارج عن كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات ، فضلا عما تزاوج في الفواصل عنه(١٠٨) .

ويقول أيضاً ، وكذلك جميع ما في القران مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق (١٠٩).

ويقول ابن الأثير : و إلا فلو كان السجع مذموماً لما ورد في القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر وغيرها، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور(١١٠).

ويقول أيضاً : فان قيل : فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت إليه ، فكان ينبغي أن يأتي القران كله مسجوعا ، وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع ؟

ويجيب على ذلك أن اكثر القرآن مسجوع حتى أن السورة لتأتي جميعها مسجوعة ، وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعا إلا أن سلك به مسلك الإيجاز والاختصار ، والسجع لا يُوَاتي في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب .

وهنا وجه آخر – هو أقوى من الأول – وذلك إنه ثبت أن المسجوع من الكلام افضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لان ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع ومن اجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا(١١١) .

والمبالغة واضحة في كلام أبن الأثير ، فلا يمكن وصف القرآن بأن أكثره مسجوع ولا نقره على هذا الاستدلال الغريب الذي أيد به رأيه ، فمن الجرأة على القرآن أن يُقال إنه لولا مراعاة الإيجاز والاختصار ، لأتى كله مسجوعاً ، لان السجع لا يساوقه الإيجاز دائماً ، فمن أين لأبن الأثير الاطلاع على علم الله حتى يتحدث عنه حديث العارف بمقاصده العليا في إيثار الترسل حينا قصد الإيجاز .

ويعلق الأستاذ علي الجندي على كلام ابن الأثير فيرده قائلاً : (إن الأمر هنا لا يتعلق بجمال الفواصل ، وحسن التركيب ، ورونق الألفاظ ودقة المعاني، وجوهر التشريع ، والمفاضلة بين أسلوب و أسلوب ، ولكن يتعلق باكتناه سر علوي أستاثر الله بعلمه وليس – سبحانه – شاعراً أو كاتباً حتى يحاول أبن الأثير كشف نفسيته ، وبيان إن السجع احب إليه من الترسل لولا رعاية كذا وكذا ،فهل يظن هذا الرجل إن الله مغرم بالسجع غرامة به)(١١٢) .

ويقول العلوي:وهو – أي السجع – حسن ، لوروده في القران الكريم(١١٣) ، ويقول في موضع أخر : واكثر القران وارد على جهة السجع (١١٤).

وهو في ذلك لا يقل إغراقاً عن أبن الأثير ، وليس ذلك بعجيب منه ، فمن يقرأ كتابه ((الطراز)) بإمعان وتدبر ، يتبين مبلغ تأثره بابن الأثير وكثيراً ما ينتهي أفكاره دون أن يشير إلى ذلك .

ويقول أبن النفيس ، يكفي في حسن السجع ، ورود القران به ، ولا يقدح في ذلك خلوه في بعض الآيات ، لان الحسن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسن منه (١١٥).

ويقول التنوخي : ومن عاب السجع مطلقا مخطئ ، لان السجع في كتاب الله كثير وفي كلام النبي والفصحاء .....وإنما يُعاب السجع إذا أحتاج متكلفه إلى تنقيص المعنى أو زيادته (١١٦) .

يقول الأستاذ عبد الحكيم بلبع : ((ليس بمستساغ في العقل ولا في المنطق ، ان يترك القران مظهراً من مظاهر الفصاحة ، لأن طائفة من العرب كانوا يستخدمون في كلامهم هذا المظهر ، ولو كانت هذه طريقة القران لترك كذلك التشبيهات والاستعارات والكنايات وأنواع البديع وغيرها من ضروب البلاغة، لأن الناس قد استخدموها في كلامهم من قبل))(١١٧) .

وحجة المثبتين للسجع القرآني إجمالاً : إن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وانه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالجناس والالتفات ونحوهما ، وهذا كلام يتصل بصميم البلاغة وسر البيان ، وكأنهم يقولون إن في كلام العرب سجعا وإن في القران سجعا ، وفي ذلك مجال واسع للقياس والموازنة ، ومظهر واضح للتحدي المعجز فمن شاء أن يعارض سجعا بسجع فليفعل – وما هو بمستطيع – وهنا تقيم الحجة ، وينهض الدليل القاطع ، على إن هذا الكلام المسجوع ليس من صنعة المخلوقين .

وشيء أخر يذكرونه مستدلين به على أن السجع أسلوب مقصود للقران الكريم .

وبيان ذلك إن الاتفاق واقع على إن (موسى) أفضل من أخيه (هارون) (عليهما السلام) ولكان السجع قيل في بعض المواقع ((هارون وموسى)) تمشيا مع الانسجام الموسيقي في نسق الكلام ، وقيل في موضع أخر ((موسى وهارون)) لأن الفواصل قبل ذلك مبنية على الواو والنون .

قالوا : وهذا يخالف أمر الشعر ، لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعرا ، وذلك القدر مما يتفق وجوده من الشاعر وأما ما جاء في القرآن من السجع ، فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه (١١٨).

وقد أحصى أنيس المقدسي عدد السجعات الموجودة في القران ، إذ قال: ويبلغ عدد السجعات في الكتاب العزيز نحو مائتين وستة الاف سجعة (١١٩).

نظرة وتقويم :

إن أنصار السجع يرون وجه الأعجاز –هاهنا – في مدى السمو البياني بين كلام الله تعالى ، وكلام البشر مع اتفاق الكلاميين ، على حين يرى معارضوهم إن وجه الأعجاز في مدى السمو البياني فضلاً عنْ التباين في الكلاميين ، وكلا الطرفين يحتج بنصوص القرآن .

أما المأخذ الكبير الذي ينال من الفريقين معا ، فخطبهم في وادي الخلاف والمصطلحات البلاغية التي يتقاذفونها ، غير مستقرة أولاً ، وغير متفق عليها ثانيا وأول شرط في الجدل الاتفاق على المصطلح ، فمصطلح السجع مثلا أكبر شاهد على ذلك ، وهو أحد منطلقات الخلاف ، فمصطلح السجع غير متفق عليه ، وبسبب ذلك ظُلمت الفاصلة القرآنية ، إذ يكاد يطبق رجال البلاغة المتأخرون على القول بسجع القران ، والسبب في ذلك عقم العقلية النقدية وسقم الذوق بعدَ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – إذ انشغلت الأذهان بالنص الجزئي دون السياق والنص والإطار ، كما أنصرفت إلى التعقيد والاختتام في تكديس المصطلحات .

يقول محمد الحسناوي: ((إن القول بالسجع في القرآن لا يلغي مصطلح الفاصلة ولكنه يؤدي إلى مشكلات مختلفة ، أولها اهتزاز الرؤية النقدية المتكاملة للنص القرآني ، على أنه نص متميز ، أو من عند الله تعالى ، فمثلا صارت الفاصلة نهباً لأبحاث السجع والازدواج أو بالأحرى غدت – عن غير قصد تابعة لغيرها على حين استمرت القافية باباً أو علماً مستقلاً ، يغتني عصراً بعد عصر)(١٢٠) .

ويقول في موضع آخر : (إن القول بسجع القرآني حيف ، ولا نقول السجع عيب ، وإن القول بالفاصلة لا شريك لها ردَّ الأمور إلى نصابها ، ونظرة إلى ظاهرة قرآنية متميزة مطردة في القران كله ، وفي ذلك ما فيه تجنب الإيهام

بمشابهة كلام البشر أو الكهان ، كما فيه انسجام مع إشارات القرآن (كتاب فصلناه)(١٢١) ، (آيات مفصلات) (١٢٢) (١٢٣) .

ومن المحدثين من يرى إن ما في القرآن هو فواصل ، وأنها سميت كذلك ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان حيث إن آخر الآية فصل بينهما وبين الباحث ما بعدها ، ولعل التسمية أخذاً من قوله تعالى ﴿ الر (١) كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(٢) ﴾ (١٢٤)،استناداً إلى لفظة (فصلت)(١٢٥) .

ويقول الدكتور احمد مطلوب : وتسمية نهاية الآيات (فواصل) هي تسمية دقيقة من اجل أن يكون هناك فرق بين سجع البشر وآيات الله العزيز(١٢٦) .

وان أضم رأيي إلى رأي الدكتور احمد مطلوب ، فلا ينبغي ان يقال : ان الفاصلة من جنس ما كان العرب يقدمون من سجع فإنَّ كل ما جاء في القرآن معجز بما خالف به أساليب العرب ومحتوى صياغاتهم ، وان كان مادة ما فيه هي مادة أقوالهم ومعانيهم ، وليس صانع في الدنيا مثل صاحبه في صنعته ، بل أن في كل ميدان مبرزين لا يرقى إليهم جمهرتهم ، فما بالنا – ولله المثل الأعلى– باحكم الحاكمين ينزل قرانه ، ويحكم إن الأنس والجن لا يملكون الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ثم يجيء من يقول : إن الفاصلة في القران الكريم لون من السجع المعهود عند العرب ، ولا يزالون يدافعون عن هذه القضية دفاعهم عن أمر مقرر .

الهوامش

١– القاموس المحيط ، وأساس البلاغة (مادة سجع) .

٢– لسان العرب (مادة سجع) .

٣– العين : ١ / ٢١٤ .

٤– إعجاز القرآن للباقلاني /٦٠ .

٥– صبح الأعشى للقلقشندي ٢ / ٢٦٩ .

٦– النوائع : الموائل ، ويروى : غصون يوانع .

٧– صبح الأعشى : ٢ / ٢٦٩ ، وأساس البلاغة : ١ / ٤٢٤ .

٨– إعجاز القرآن للباقلاني / ٧٣ .

٩– ينظر : فن البديع لعلي الجندي : ١ / ٢٥ .

١٠– ديوان ابن زيدون / ، الهدل = المسترخية

١١– ديوان البارودي .

١٢– النظرات للمنفلوطي : ٣ / ٣١١ .

١٣– القاموس المحيط (مادة سجع) .

١٤– الورشان بفتح الراء ، الأنثى بهاء : طائر لحمه أخف من الحمام .

١٥– وادي القرى : اسم مكان .

١٦- الحوائط : بساتين النخل .

١٧- مطالع البدور في منازل السرور : ٢ / ٢٦١ .

١٨- الكامل للمبرد ((شرح المرصفي)) ٥ / ٢٤١ .

١٩- نهاية الإيجاز للرازي / ٣٤ .

٢٠- أساس البلاغة : ١ / ٤٢٤ .

٢١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي / ١٦٣ .

٢٢- صبح الأعشى : ٢ / ٢٦٩ .

٢٣- المثل السائر لابن الأثير : ٣ / ٢٧١ .

٢٤- مواهب الفتاح ((شروح التلخيص)) : ٤ / ٤٤٥ .

٢٥- علوم البلاغة / ٣٦١ .

٢٦- لسان العرب (مادة فصل) ، وأساس البلاغة ، والقاموس المحيط .

٢٧- النكت في إعجاز القرآن للرماني / ٨٩ .

٢٨- أعجاز القرآن للباقلاني / ٢٧٩ .

٢٩- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢ / ١٦٣ .

٣٠- سورة فصلت / ٣ .

٣١- هو عثمان بن سعيد (٣٧١- ٤٤٤ هـ) أحد حفاظ الحديث ومن الأئمة في علوم القرآن ورواياته وتفسيره . ينظر : الإعلام : ٤ / ٣٦٦ .

٣٢- البرهان في علوم القرآن للزركشي : ١ / ٥٣ .

٣٣- لسان العرب (مادة فصل) .

٣٤- النكت في إعجاز القرآن / ٩١ .

٣٥- ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني / ٥٧ .

٣٦- ينظر : المصدر نفسه / ٥٧-٥٨ .

٣٧- ينظر : المصدر نفسه / ٥٨ .

٣٨- ينظر : المصدر نفسه / ٥٩ .

٣٩- ينظر : المصدر نفسه / ٥٩ .

٤٠- سورة فصلت / ١-٤ .

٤١- سورة فصلت / ١٣ .

٤٢- ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني / ٣٠ .

٤٣- ينظر : المصدر نفسه / ٦١ .

٤٤- ينظر : المصدر نفسه ٦١-٦٢ .

٤٥- ينظر : المصدر نفسه / ٦٢ .

٤٦- ينظر : المصدر نفسه / ٦٤ .

٤٧- نص هذا الحديث من صحيح مسلم (باب دية الجنين) ٥ / ١١٠ ، وفي كتب الأدب ينظر : البيان والتبيين : ١/ ٢٨٧ ، وكتاب الصناعتين / ٢٦١.

٤٨- إعجاز القرآن للباقلاني / ٥٨ .

٤٩- هو إبراهيم بن سيار هانيء البصري ، (٠٠ - ٢٣١ هـ) من أئمة المعتزلة ، ينظر : الفهرست / ٢٥٢ .

٥٠- وفاته حوالي منتصف القرن الثالث من الهجرة (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٢٧ / ٥٧٧ .

٥١- وفاته حوالي منتصف القرن الثالث من الهجرة . المرجع السابق مج ٢٧ / ٥٧٧ .

٥٢- إعجاز القرآن للباقلاني / ٦٥ .

٥٣- سورة إبراهيم / ٤ .

٥٤- سورة فصلت / ٣ .

٥٥- سورة .

٥٦- سورة الشورى / ٧ .

٥٧- سورة الزمر / ٢٨ .

٥٨- العمدة لإبن رشيق القيرواني : ١ / ٣٠ .

٥٩- إعجاز القرآن للباقلاني / ٢٢٦- ٢٢٧ .

٦٠- المصدر نفسه / ٥٧ .

٦١- ينظر : المثل السائر : ٣ / ٢٧١ ، والطراز للعلوي : ٣ / ٢٨ ، والأقصى القريب للتنوخي /١١ ، والإيضاح للقزويني / ٣٩٣ ، وشروح التلخيص : ٣ / ٤٤٥ ، وشرح عقود الجمان / ١٥٠ .

٦٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – د. أحمد مطلوب : ٢ / ١٤٩ .

٦٣- ينظر:إعجاز القرآن للباقلاني /٥٨

٦٤- ينظر:النكت في إعجاز القرآن للرماني/٩١ ، و إعجاز القرآن للباقلاني /٥٨

٦٥- سورة يس / ٥- ٨ .

٦٦- السيد أحمد صقر / مقدمة تحقيق إعجاز القرآن للباقلاني / ٧٥ .

٦٧- سورة فصلت / ١٣ .

٦٨- ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني / ٥٩ .

٦٩- سورة الإنسان / ٥- ٨ .

٧٠- المثل السائر : ٣ / ٢٧٣ .

٧١- البيان والتبيين : ١ / ٢٣٦ .

٧٢- المثل السائر : ٣ / ٢٧٣ .

٧٣- الأقصى القريب للتنوخي / ١١١ .

-٧٤

٧٥- ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني / ٦٥ .

٧٦- بنظر : فن البديع لعلي الجندي : ٢ / ١٧٨- ١٧٩ .

٧٧- إعجاز القرآن للباقلاني / ٦٥ .

٧٨- مقدمة إعجاز القرآن للباقلاني / ٧٧ .

٧٩- المصدر نفسه / ٧٧ .

٨٠- ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني / ٨٨ .

٨١- سورة الطور / ١-٢ .

٨٢- سورة العاديات / ٧-٨ .

٨٣- سورة النازعات / ٣-٤ .

٨٤- ينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني / ٩١ .

٨٥- ينظر : المصدر نفسه / ٩١ .

٨٦- ينظر : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري / ٢٥٠ .

٨٧- ينظر : المصدر نفسه / ٢٥١-٢٥٢ .

٨٨- ينظر : معاني القرآن للفراء : / ٤٦ .

٨٩- المقدمة لإبن خلدون : ١ / ٣٥١ .

٩٠- ينظر : سرّ الفصاحة / ١٧٢ .

٩١- ينظر : المصدر نفسه / ١٧٢ .

٩٢- سورة الطور / ١-٣ .

٩٣- سورة طه / ١-٥ .

٩٤- سورة الفجر / ١-٤ .

٩٥- ينظر : سرّ الفصاحة / ١٧٣ .

٩٦- سورة الفاتحة / ٣-٤ .

٩٧- سورة ق /١-٢ .

٩٨- ينظر : سر الفصاحة / ١٧٣ .

٩٩- ينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني /٨٩-٩٠ .

١٠٠- سر الفصاحة / ١٧٣-١٧٤ .

١٠١- المصدر نفسه / ١٧٤ .

١٠٢- المصدر نفسه / ١٧٤ .

١٠٣- المصدر نفسه / ١٧٤ .

١٠٤- المصدر نفسه / ١٧٤ .

١٠٥- صور البديع لعلي الجندي : ٢ / ١٧ .

١٠٦- ينظر : سر الفصاحة / ١٧٤ .

١٠٧- ينظر : صور البديع : ٢ / ١٨١ .

١٠٨- كتاب الصناعتين للعسكري / ٢٤٩ .

١٠٩- المصدر نفسه / ٢٥٠ .

١١٠- المثل السائر : ٣ / ٢٧١ .

١١١- المصدر نفسه : ٣ / ٢٧٧-٢٧٨ .

١١٢- صور البديع لعلي الجندي : ٢ / ١٧٠ .

١١٣- ينظر : الطراز للعلوي : ٣ / ٢٨ .

١١٤- المصدر نفسه : ٣ / ٢٨ .

١١٥- عروس الأفراح : ٤ / ٤٤٥ .

١١٦- الأقصى القريب للتنوخي / ١١١ .

١١٧- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، عبد الحكيم بلبع / ٩٥ .

١١٨- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٣ / ٢٩٢ .

١١٩- تطور الأساليب النثرية / ٥٥ .

١٢٠- الفاصلة في القرآن / ١٢٤ .

١٢١- سورة الأعراف / ٥١ .

١٢٢- سورة الأعراف / ١٣٢ .

١٢٣- الفاصلة في القرآن / ١٢٥ .

١٢٤- معجم المصطلحات البلاغية : ٢ / ١٥٠ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

– أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٩م .

– إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) تح : السيد أحمد صقر ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٥٤ .

– الأعلام ، خير الدين الزركلي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٩ .

الأقصى القريب في علم البيان ، أبو عبد الله زين الدين ، محمد بن محمد بن عمرو التنوخي (ت ٧٤٩هـ)مطبعة دار السعادة ، ط١ ، ١٣٢٧هـ .

الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط٤ ، بيروت لبنان ، ١٩٧٥ .

– البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي وشركاءه ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧ م .

– البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٠هـ) تح : عبد السلام هارون ، مطبعة دار التأليف المالية ، مكتبة الخانجي ، مصر ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

– تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م

– ديوان ابن زيدون ، ابو الوليد أحمد بن زيدون (ت ٤٦٣هـ) شرح د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩ م .

–ديوان البارودي ،

– سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن سعد الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) تح : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٩٦٩ م .

– سنن الترمذي ،

– شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

– شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، مصر ، د.ت .

– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ت.

– صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م .

– صور البديع ، فن الأسجاع ، علي الجندي ، مطبعة دار الجامعة ، مصر ، د.ت.

– الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٩هـ) مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩١٤م .

– عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي السبكي (ت٧٧٣هـ) مطبوع ضمن شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، مصر ، د.ت .

– علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٩٨٦م .
– العمدة في محاسن الشعر أدبه ونقده ، أبو علي حسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢م .
– العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تح : عبد الله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٧ م .
– الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، دار عمار ، عمان ، د.ت .
– الفهرست ، ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٨٥٨هـ) تح : رضا نجد طهران، مطبعة دانشكاه ، ١٩٧١م .
– القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) نشر مؤسسة الحلبي وشركاءه .
– الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ) تح: د. زكي مبارك، القاهرة، ١٩٣٦م .
– كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، ط٢ ، مصر ، د.ت .
– لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٦م .
– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي مكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٧هـ) ، تح : د. أحمد الجوفي ود. بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، ط١ ، ١٩٥٩م .
– مجلة المجمع العلمي العربي (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) دمشق ، مج ٢٧ ، ١٩٨٢م .
– معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تح : أحمد يوسف نجلتي ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٥٥م .
– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧م .
– مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون وليّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد التونسي ، تح : حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٨٦ .
– مواهب الفتاح في شروح تلخيص المفتاح ، ابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠هـ) مطبوع ضمن شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، مصر ، د.ت .
– النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ،
– النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦هـ) مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
– نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) تح : د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر والنشر ، عمان ، ١٩٨٥ .